

# اربعون عاما من "الولاء للمبادئ"

الدكتور مصطفى ملكوتيان

عضو الهيئة العلمية استاذ العلوم السياسية بجامعة طهران

الثورة الاسلامية ومن مختلف المجالات والجهات فريدة من نوعها ولا نظير لها بين الثورات المعاصرة الاخرى . دراسة الثورات والمقارنة فيما بينها تجري بناء على عدة عناوين عامة هي ، ماهيتها ، حدوثها ونتائجها أو تداعياتها ، وكل عنوان من هذه العناوين يمكن تقسيمه لعدة عناوين أخرى . على سبيل المثال فيما يخص تبيان الماهوية يتم التركيز على شرح الخصائص والماهية والطموحات والقيادة وكذلك دور الجماهير في اي ثورة ، وفيما يخص تبيين حدوثها يتم التركيز على الثورة الارضية والاسباب والعناصر الممهدة والمؤثرة في بلورة ونجاح الثورة وبالتالي فيما يخص النتائج يتم التركيز على التبعات الداخلية والدولية للثورة ومقارنتها بالثورات الاخرى . ولا شك ان ماهية الثورة تلعب دورا بارزا في حدوثها ونتائجها. وفي هذا المقال نحن بصدد اجراء مقارنة بين الثورة الاسلامية مع سائر الثورات المعاصرة وتبسيط الضوء على فقرات من بيان "الخطوة الثانية" للثورة الاسلامية الذي اصدرته القيادة الرشيدة بمناسبة دخول الثورة الاسلامية عقدها الرابع وبدء فصل جديد من حياتها.

## الف - الثورة الاسلامية أعظم الثورات المعاصرة وأكثرها شعبية:

على صعيد تبيين انواع الثورات يجري اعتماد تقسيمات مختلفة اهمها واشهرها تقسيم الثورات الى ثورات كبرى (ثورات اجتماعية) وثورات سياسية . التغييرات في الثورة السياسية ضئيلة وذات توجهات سياسية ونسبة المشاركة الشعبية فيها ضئيلة ايضا . في حين ان الثورات الكبرى ، تكون نسبة مشاركة الجماهير فيها اكبر وتنمط ونسبة التغييرات الناتجة عنها اكبر وتشمل كافة الصعد الثقافية ، الاجتماعية ، السياسية ( الداخلية والخارجية ) والاقتصادية . الثورة الاسلامية من حيث حجمها والتغييرات الداخلية النابعة منها ومستوى تأثيرها الدولي وكذلك من حيث الشرائح والتنظيمات ونسبة المشاركة الشعبية فيها تتبوأ موقع الريادة بين الثورات المعاصرة . جميع الخبراء متفقون على أن الغالبية الساحقة لشرائح الشعب - ولهذا توصف هذه الثورة بانها ثورة عابرة للطبقات - باستثناء شريحة قليلة من اتباع النظام الهلوي سجلت حضورها في سوح الثورة . هذا التواجد الواسع والمنقطع النظير المشفوع بالقيادة الحكيمة والحازمة للامام الخميني) ره (ادى الى الهيمنة على جميع المدن والقرى وسلب النظام الهلوي وداعميه فرصة القيام بأي مبادرة ، فضلا عن تسريع وتيرة ترشيد الثورة نحو الانتصار بأقل الخسائر والاضرار .

هذا في حين أن المساهمة والمشاركة الشعبية في ثورات مثل الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ والثورة الروسية عام ١٩١٧ كانت متدنية جدا كما نعرف واقتصر على بعض الشرائح الاجتماعية فقط. كما ان تسجيل الجماهير لحضورهم في الساحة خلال العقود الاربعة الماضية حصن الثورة امام مخططات ومؤامرات المناوئين لها في الداخل وحماهم في الخارج ، وعلى سبيل المثال يمكننا التنويه الى المشاركة الشعبية في سوح الدفاع المقدس واحباط فتنتي ١٩٩٩ و ٢٠٠٩ وغيرها . لذلك فإن الثورة الاسلامية هي اكثر الثورات المعاصرة شعبية واعظمها . نظرة عابرة على النتائج والاثار والتغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المختلفة خلال الاربعةين عاما الماضية تؤكد هذه الخصائص المذكورة آنفا.

## ب - الثورة الاسلامية والولاء للمبادئ خلال الاربعةين عاما الماضية:

كما تفضل قائد الثورة الاسلامية في بيان الخطوة الثانية للثورة ، فان مبادئ وتطلعات هذه الثورة أي الحرية ، الاخلاق ، المعنوية ، العدالة ، الاستقلال ، العزة ، العقلانية والاخوة . لا يمكن ان تنتهي صلاحيتها من منطلق انها نابعة من الفطرة . الثورة الاسلامية الايرانية هي الثورة الوحيدة التي صانت مبادئها وتطلعاتها خلال الاربعةين عاما الماضية ولا زالت تدافع عنها وتؤكد عليها وتبذل قصارى جهودها لترجمتها على الارض . هذا الامر يتضح أكثر حين نستعرض مصير طموحات ومبادئ الثورات المعاصرة:

١- في الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ، شعارات الثورة تركزت في البداية على الحرية والمساواة ، وهي عناوين فضفاضة لم يكن لها اي معاني أو مصاديق واضحة ، فضلا عن الخلافات التي كانت قائمة بين قادة الثورة ، وقد تمخضت في البداية عن ملكية ميرابو الدستورية (١٧٩١) ومن ثم جمهورية دانتون البورجوازية (١٧٩٢) وبعد ذلك الى جمهورية مساواة روبسبير (١٧٩٣) ومن ثم وفي عام ١٧٩٩ وبعد فشل " حكومة المديرين " التي تسنمت سدة الحكم في ١٩٩٥ تم احداث الامبراطورية الاولى بزعامه نابليون ، واثر هزيمته في الحروب النابليونية انتهت الثورة عام ١٨١٥ .

٢- في ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ والتي قادها لينين في روسيا ، محور الشعارات كان التصدي للغرب الامبريالي والذي بسبب حروبه الامبريالية واستنزاف قواه سيتحول الى ثورة اشتراكية . ولكن على عهد ستالين ، اصطف الاتحاد السوفيتي في الحرب العالمية الثانية الى جانب الامبرياليين ، ومن ثم وفي عام ١٩٥٦ انتقلت السلطة الى خروشچوف الذي كان يؤمن بسياسة ازالة التوتر مع الغرب (ديتانت (ونظرا الى دخول العالم حقبة امتلاك الاسلحة النووية فانه كان يقول بان الذرة لا تميز بين الطبقات . خلال هذه الفترة الحرب الباردة بين موسكو - بكين كانت أهم من الحرب الباردة القائمة بين موسكو - واشنطن . الصين ايضا وفي عام ١٩٤٩ شهدت ثورة ماركسية بزعامه ماو .

٣- في ثورة التحرير الجزائرية عام ١٩٦٢ ، رفع الجزائريون شعار الاسلام ديننا ، الجزائر وطننا والعربية لغتنا . حاربوا الفرنسيين الذين لم يتصوروا ابدا بأن عليهم الرحيل من الجزائر في يوم ما ، ولذلك كانوا قد بدأوا بتنفيذ تغييرات ثقافية في هذا البلد منذ امد طويل . الشعب الجزائري نجح عام ١٩٦٢ بطرد الفرنسيين من بلاده ، لكن المسؤولين الجزائريين لم يحافظوا على شعارات الثورة بشأن الاستقلالية وصيانة الهوية الثقافية، ولذلك نرى الان بان الجزائر لم تحقق اي تقدم يذكر فضلا عن عدم استقلاليتها .

## ج - الثورة الإسلامية ونهاية حقبة من الانحطاط التاريخي:

حقبته حكم القاجاريين والهلويين كانت لها سماها ومن اهم هذه السمات يمكن الإشارة الى الدكتاتورية ، التخلف عن ركب العلوم والتكنولوجيا والتبعية للقوى الأجنبية ، والتي ادت الى سوق البلاد نحو الانحطاط والانحدار . خلال الفترة الطويلة لحكم القاجاريين ، لاسيما خلال فترة حكم ناصر الدين شاه القاجاري ، كان الروس والبريطانيون يحظون بنفوذ كبير في البلاد وبين المسؤولين ، ومن خلال حصولهم على امتيازات سياسية واقتصادية كانوا يسرعون وتيرة الانحطاط والانحدار . خلال هذه الفترة تم فصل اجزاء واسعة من اراضي ايران في شمال وشمال شرق البلاد. فترة حكومة البهلويين التي بدأت بانقلاب رضا شاه وبازاحتها وتنصيب نجله محمد رضا خلفا له في السلطة واستمرارها بعد انقلاب ١٩٥٣ ، كانت تتسم بهذه الصفات والتخلف وكانت تؤيد نظرية الانحطاط . وايضا كما سبق فإن:

١- طابع دكتاتورية النظام البهلوي كان واضحا لدى القاضي والداني ، لاسيما اثناء حكم رضا شاه ومن بعد انقلاب ١٩٥٣ اثناء حكم محمد رضا ، حيث كان جهاز السافاك يراقب جميع الاوساط المجتمعية ومن خلال ممارسته لشتى انواع التعذيب ضد السجناء السياسيين واعتماد سياسة الترهيب على صعيد المجتمع تمكن من فرض هدوء ظاهري.

٢- الاعتماد على القوى الخارجية وانعدام الاستقلالية هي من صفات الحقبة الهلوية. وهذا الامر يظهر جليا من خلال ما قاله تشرتشيل وروزفيلت عن رضا شاه اثناء مؤتمر طهران (١٩٤٣) نحن من جننا به للسلطة ونحن من ابعدها . كما ان انقلاب ١٩٥٣ الأمريكي ، المصادقة على قرار الحصانة القضائية عام ١٩٦٤ وكذلك تبديل محمد رضا بهلوي الى شرطي امريكا في المنطقة بناء على استراتيجية نيكسون اترهزيمة امريكا في حرب فيتنام ، جميع هذه الامور تكشف عن تبعية الكتلة الغربية . كما ان اجتراء البحرين التي كانت دائما جزءا من اراضي ايران تم خلال فترة حكمه .

٣- التخلف على صعيد العلوم والتكنولوجيا ايضا كان من السمات البارزة للنظام البهلوي ، حيث ان سرعة تقدم العلم في ايران كان شبه معدوم . لم تكن هناك اي نشاطات لانتاج العلم في المراكز الجامعية والمؤسسات العلمية ، وغالبية مدراء الشركات فضلا عن ذلك الاطباء كان يجري استدعاءهم من الخارج . تزامنا مع ارتفاع اسعار النفط في الاسواق العالمية ، تم تاسيس العديد من الصناعات الاستهلاكية التي تعتمد على الواردات لتلبية احتياجاتها من المواد الخام او اساسا كانت مصانع للتجميع فقط.

انتصار الثورة الإسلامية انهى حقبة الانحطاط التاريخية هذه وتمخض عن ايجاد نظام يرتكز على السيادة الدينية له استقلالته ولا يعتمد على اي من القوى الخارجية فضلا عن تسريع وتيرة تقدم البلاد.

٤- الثورة الإسلامية وبعد انتصارها ونظرا الى اصالة كوادرها الثورية- اصالة طموحاتها وقيادتها وقاعدتها الشعبية المؤمنة- استطاعت وبسرعة فائقة وضع اللبنة الاساسية لنظام سياسي جديد مبني على السيادة الدينية- المساهمة الحقيقية للشعب في السياسة - حيث يتم اختيار اعلی مسؤولي هذا النظام وحتى في بعض الاحيان من هم اقل مرتبة ، عبر صناديق الاقتراع .

٥- كما ان الثورة الإسلامية من خلال اعتمادها لسياسة لا شرقية ولا غربية ، مبدأ " العزة ، الحكمة ، المصلحة " ، التأكيد على مقارعة الاسلام للاستكبار ودعم الحركات التحررية ، نجحت في ايجاد تغييرات واضحة في هندسة القوى على الصعيد الاقليمي وتعزيز اقتدار الصحوة الإسلامية المبنية على نموذج المقاومة في مواجهة الغطرسة الصهيونامريكية .

٦- الثورة الإسلامية انتزعت البلاد من التخلف في مجال العلم والتكنولوجيا وحولتها الى بلد سجل رقما قياسيا في التقدم ( سرعة التقدم ١١ ضعف المتوسط العالمي . ) وكما اشار قائد الثورة المعظم " : إيران بامتلاكها مصادر ممتازة لتحقيق المزيد من التقدم والتطور ، مثل سبعة بالمائة من احتياطي المعادن في العالم ، الموقع الجغرافي الاستثنائي بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ، السواحل البحرية المترامية ، الكوادر البشرية المتخصصة والشابة ، الأسواق الإقليمية الكبيرة بـ ١٥٠ بلد جار و ٦٠٠ مليون نسمة من السكان فيها ؛ والامر الاهم من كل ذلك الامل والنظرة المتفائلة حيال المستقبل المشرق.